المقدمة
بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة وإماماً ومعلماً للعالمين (صلى الله عليه وسلم).

لقد اشتدت حاجتنا اليوم إلى مثل هذه الكلمات: الوعى، الفهم، التأمل، الالتزام، الاحترام، الوحدة، العروبة، التسامح، الاعتصام، الإسلام، التوحيد، العلم، الحضارة، التقدم، والحياة. فإذا تحققت هذه الكلمات واجتمعت وأصبحت واقعاً فى حياتنا؛ عندها فقط نكون أحياء، عندها سيتحقق الأمل المفقود، وسيتحقق الحلم ويتحقق أملنا فى الوجود، ذلك الوجود الحقيقى المنشود؛ عندما نقرأ لنفهم، عندما نفكر قبل أن نتكلم، عندما نعيش لنصلى ونعمل، عندما نتعلم من لغتنا وتاريخنا، عندما نستعيد حضارتنا، عندما نعترف بأخطائنا لتختفى من حياتنا، عندما نواجه أنفسنا، عندما نعلم أسباب تخلفنا وأسباب ضعفنا وقهرنا وهواننا على أنفسنا قبل غيرنا، عندما نستقرئ أفكارنا عندما نستعيد وعينا بذاتنا، عندما نستيقظ وننتبه بعد نومنا، سنعرف عندها من نحن ومن هو عدونا، سنعرف عندها طريقنا.

وأرجو أن يكون ذلك الآن، اليوم، وليس غداً أو بعد فوات الآوان، فلا وقت للنظر إلى الوراء، أو التوقف لمجرد الكلام، أو الاتهام أنا وأنت وهم، المهم أننا جميعاً فى حاجة إلى الحياة فى حاجة إلى الحقيقة، فى حاجة إلى الحكمة. من أجل ذلك لجأت إلى أفكار أستاذنا الدكتور يحيى هويدى أستعيدها وأتأملها لعلها تنير الطريق أمامنا ونستعيد بها وعينا. لذلك كان اختيارى ليكون الكتاب الأول فى سلسلة دراسات فى الفكرالعربى المعاصر بعنوان: الواقعية الإسلامية فى مواقف الدكتور يحيى هويدى الفكرية. فأستاذنا الدكتور يحيى هويدى من أبرز رجال الفكر العربى المعاصر، وأكثرهم تأثيراً وفاعلية فى مجال الفلسفة ويقظة الوعى العربى فى أنحاء كثيرة من عالمنا المعاصر، ومناحى عدة من مناحى الإصلاح والنهضة والتثقيف وبناء الفكر العربى.

فقد تنبه أستاذنا منذ نصف قرن أو يزيد بما نحن فيه الآن، لقد تنبه إلى أهمية استرجاع الوعى المفقود، من خلال قراءة وتحليل آراء وأفكار ومواقف زعماء الإصلاح، وأصحاب فكرة الإحياء والتقدم من رواد الفكر

العربى المعاصر، ابتداءً من الإمام محمد بن عبد الوهاب، ورفاعة الطهطاوى، وجمال الدين الأفغانى، والشيخ محمد عبده، وعبد الرحمن الكواكبى، وعبد الحميد بن باديس، وأحمد لطفى السيد، وعباس محمود العقاد، وأحمد أمين، وطه حسين، وزكى نجيب محمود، وغيرهم.

فقد تناول أستاذنا آراء هؤلاء الرواد ومناهجهم الإصلاحية ومواقفهم السياسية بالتحليل والنقد، وجعل هذه الآراء موضوعاً للتأمل والدراسة ومعالجة مشكلة الفكر العربى المعاصر. وذلك من خلال العديد من المقالات والمؤلفات والمحاضرات، حيث عالج قضية الوعى العربى كمشكلة فلسفية لطلبة الفرقة الرابعة قسم الفلسفة،كلية الآداب،جامعة القاهرة. وكذلك طلبة السنة التمهيدية للماجستيرابتداءً من عام ١٩٧٣وحتى عام ١٩٧٥. ثم بعد عودته من الكويت أعوام ١٩٨٠، حتى عام ١٩٨٢ والتى جعل عنواناً لها: الوعى العربى المعاصر.

وقبل أن يتناول الدكتور هويدى الفكر العربى المعاصر وقضاياه بالتحليل والنقد، طرح العديد من التساؤلات المنطقية لإثارة العقل حول طبيعة هذا الفكر ودوره والعقبات التى تقف فى سبيل نهضته وتقدمه منها:

- ما الدور الذى يستطيع أ ن يؤديه الفكر العربى فى عصرنا وحياتنا؟
- ما هى المشاكل والقضايا المعاصرة التى تطرح نفسها علينا، وهل نستطيع أن نجد لها حلاً؟
- ما الذى قام به أساتذة الفلسفة فى مصر، وما هو الدور الذى لعبوه؟ وهل قدموا شيئاً أم لا؟
- هل هناك فلسفة عربية؟
- هل يمكن دراسة التاريخ بهدف استخلاص بعض الحقائق؟
- هل يمثل الإصلاحيون فترة معينة فى تاريخ الوعى العربى وهل كان لهم دور فلسفى أم لا؟
- ما هى الأسس التى اعتمدت عليها الحركة الإصلاحية عند العرب؟
- هل إصلاح الدين ما زال مشكلة قائمة؟ وهل هناك شرك معاصر؟
- ما هى الجذور التاريخية لحركة الوعى العربى ؟ وما هى الأسس الفلسفية ليقظة الوعى العربى على أساس فكرى محض ؟
- ما الذى ينقصنا ؟ الفكر أم الفعل ؟
- ما هو الدور الذى لعبه زعماء الإصلاح ؟

- إلى أى حد نجح زعماء الإصلاح عندما وقفوا موقف الدفاع عن الدين ؟
- هل استطاع رجال الدين ان يقدموا الإسلام الصحيح حتى الآن ؟

واختتم هويدى هذه التساؤلات بقوله: الواقع أنه للإجابة على هذه الأسئلة نختار منهج زعماء الإصلاح فى العالم الإسلامى والعربى فى القرن الماضى، ونستعرض أعمالهم ومواقفهم الفكرية والمشاكل التى تعرضوا لها والتى واجهتهم وكيف قدموا الحلول لها، والواقع أنه إذا استطعنا تحديد وضع المشاكل التى تواجه الفكر العربى المعاصر فسنكون بذلك وصلنا إلى منتصف الطريق.

ولم يتبنى هويدى منهجا واحدا من مناهج التفكير الفلسفى ليتصدى به للإتجاهات الفلسفية المعارضة للواقعية الإسلامية، كما أنه لم يتبنى اتجاها واقعيا بعينه فى تلك المواجهة، فقد واجه هويدى اتجاهات الفلسفة المعاصرة بمنهجية مرنة فجعل الواقعية الجديدة منهجاً لمواجهة الإتجاهات الوجودية والوضعية والمثالية فى الغرب، وجعل الواقعية الدينية منهجاً لمواجهة أفكار السلفية المعاصرة، وجعل منهج الاسترداد التاريخى منهجاً لمواجهة أفكار وآراء زعماء الإصلاح ورواد الفكر العربى المعاصر فى مصر والعالم العربى. وقال فى ذلك: إن مفهوم التاريخ يمكن أن يؤخذ على أنه تنفيذ لإرادة الله، ويمكن أن يؤخذ على أنه خبط عشواء وقدر محتوم أو مرسوم بحتميته المطلقة بدون تدخل أية إرادة، ويمكن أن يؤخذ كما عند كانط على أنه لقاء بين الإرادة الإنسانية والإلهية، وأن اهتمام زعماء الإصلاح بمسألة التوحيد دفعتنا لدراسة زعماء الإصلاح فى ضوء علم الكلام بوصفه علم إثبات العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية رداً على الزنادقة والرافضة والثنوية وكل الفرق الضالة.[1]

وتظهر مرونة منهجيته بوضوح عبر مراحل تطوره الفكرى، ومرحلة الكتابات الفلسفية الخالصة والدراسات الأكاديمية وتأويلاته لفلسفة باركلى وديكارت، ثم فى مرحلة البحث فى الفلسفات الواقعية والوجودية المعاصرة واهتماماتها بالوعى الإنسانى،ثم عند تناوله لقضية الوعى العربى

---

١. يحيى هويدى: المحاضرة الأولى من محاضرات السنة التمهيدية للماجيستير، كلية الآداب جامعة القاهرة، ديسمبر ١٩٧٤.

المعاصر كمشكلة فلسفية تفرض نفسها على الفكر المصرى والعربى فى وقت واحد،فتكونت لديه رؤية إنسانية محورها الإنسان الحى الواقعى والمشارك بفاعلية واهتمام بأفعاله وأفكاره، لأن الفلسفة ليست مجرد كلمة تقال أو فكرة تستعرض بل هى الموقف والوعى بالذات،والإنخراط فى الواقع بكل مستوياته، وقداستخدم فى تناوله لهذه القضايا المنهج الوصفى التحليلى حيث جعل محور اهتمامه وصف الواقع العربى والتحديات التى تواجهه فى الداخل والخارج، وقام بتحليل هذه التحديات بعد وصفها بدقة ووضع الخطوات المحددة لمنهجه الإصلاحى من أجل المواجهة والحل.

فجعل الخطوة الأولى : للتأمل والاستكشاف من خلال المعرفة والإطلاع على قضايا الواقع العربى ومشكلاته، ثم جعل الخطوة الثانية: تحليل أسباب التخلف وغياب الوعى، وكيف يتطور المفهوم الإسلامى والخطاب العربى وفقاً لها، وجعل الخطوة الثالثة: تجديد الفكر العربى بجميع فروعه وأشكاله، وهنا يحذر هويدى من خطر الوقوع فى أخطاء الماضى فيقول: ولكن العيب هنا والخوف فى نفس الوقت من هذا التجديد للدين، من أن يقدموا لنا علم كلام جديد، أو أن يكون موقفهم امتداداً لعلم الكلام القديم، وعندئذٍ لم نخرج منها بشئ سوى مجموعة من الخطابات والمواعظ حول هداية الشباب.

كما أشار هويدى إلى ضرورة أن يكون الإصلاح والتجديد للخط الدينى شاملاً لكل شئ، من أجل إثبات عملياً أن مجتمعنا لا يرفض الدين الحقيقى الداعى إلى انبناء والحضارة والعلم والمدنية والتطور، وفى نفس الوقت يرفض التطور الظاهراتى للدين الذى يجعل الدين جملة من الوقائع أو مجرد ظاهريات شعورية.

وجعل الخطوة الرابعة موقف للمواجهة من أجل التغيير والإصلاح؛ لأن الإصلاح مرتبط بالتغيير والإرادة، كما أنه مرتبط بالتنوير والوعى والرغبة فى الإصلاح والاستعداد له والتضحية فى سبيله، وفى هذه الخطوة حدد هويدى متطلبات الإصلاح والتنوير فى: ضرورة استخدام الوقفات التأملية ولابد أن تتسم هذه المواقف أو الوقفات بالنظرة الكلية، وأن تكون وقفة منهجية فى نفس الوقت؛ وذلك لأن الفلسفة عند هويدى منهج خاص من مناهج التفكير يلتزم فيه الإنسان بالنظرة الكلية ولا يقيد نفسه بميدان بحث خاص كما يفعل رجال العلم، ولا يبدأ من تصور معين للكون كما هو الحال

عند رجال الدين، ولعل تعريف الفلسفة بأنها منهج هو أقرب التعريفات فهماً لموقف الفيلسوف، وقد عرفها بالفعل هذا التعريف فلاسفة مشهورون مثل ديكارت وهوسرل.

ولا شك أن موقف هويدى الناقد للفلسفات المعاصرة والمحلل للمشروعات الإصلاحية التى قدمها رجال الإصلاح فى مصر والعالم العربى، يؤيد الوصف الذى أطلق عليه بأنه فيلسوف المواقف والمدافع عن الواقعية الإسلامية، وأنه استطاع بنجاح إثبات أن الفلسفة مجموعة من المواقف تمتزج بكيان الإنسان ويعيشها فى نفسه ويتعمق مغزاها، ثم يعبر عن هذا كله تعبيراً كلياً يجعله يحفل بالكليات ولا يقف عند الجزئيات، فيناقش مثلاً وجوده الإنسانى بصفة عامة ومركزة من الوجود العام حوله وكيفية معرفته له، وعلاقته بأشباهه من الناس.

لقد أثبت هويدى مدى حاجة الواقع العربى للدراسة والفهم، وكذلك الحاجة الماسة لتصحيح سوء الفهم، والتمييز بين الواقع الزائف والواقع الحقيقى، وأهمية ترابط حلقات الفكر، وعدم الفصل بين ما هو ذاتى وما هو موضوعى وما هو إلهى، من أجل تحقيق الوعى المطلوب وهو الوعى الذاتى وكذلك الوعى العام بقضايا الواقع السياسى والإجتماعى والثقافى والإقتصادى.

ولم تكن مواقف الدكتور هويدى كلها نظرية؛ بل كانت عملية أكثر منها نظرية، ولم يكتف بالأقوال بل ترجمت أقواله فى كثير من الأحيان إلى مواقف عملية وقرارات كان لها تأثيرها المباشرفى حياته الخاصة والعامة كلها. إذ لم يتوقف هويدى عند رصد مناهج الإصلاح وآراء المفكرين، بل ألقى الكثير من الأضواء على المؤثرات الخارجية للفكر الغربى بمختلف اتجاهاته ومذاهبه على فكرنا العربى، وكيف احتفظ فكرنا العربى فى كثير من جوانبه بخصائصه ومنطلقاته التى ميزته عن الفكر الغربى. ولعل ذلك كان دافعاً للعديد من مواقفه مع أصحاب الفكر التجديدى وكذلك مع أصحاب الفكر التقليدى ومع رواد المثالية الغربية والواقعية التجريبية والوضعية المنطقية بل ومع أعداء الثورة ومع أعداء الدين أيضاً.

فكان موقفه الناقد لكثير من الآراء التى قدمها فلاسفة الغرب حول فكرة الوعى بالذات، وتحليل الفكر والمنطق وفق منطلق الوضعية المنطقية

والفلسفة الظاهراتية والفلسفة الوجودية. واستخدم فى الرد على هذه الاتجاهات المنطلقات العربية للواقعية الإسلامية التى تبناها مذهباً ومنهجاً لفلسفته. ولذا عندما شغلت قضية الفكر العربى المعاصر أستاذنا؛ راح يواجهها من جميع جوانبها، ليتعرف على جميع عللها ووضع الحلول المناسبة فى صورة آليات نظرية منطقية لتحقيق الوعى العربى.

حتى أنه راح يتلمس جوانبها فى الفلسفة القرآنية وما قدمه فلاسفة الإسلام الأوائل من آراء وأفكار يمكن أن تساهم عملياً فى يقظة وعينا المعاصر، وما يمكن أن يكون لنا منطلقاً لفهم حقيقة هذا الفكر وأهم المتطلبات والمعوقات التى تقف حائلاً فى سبيل إحياء هذا الفكر وعودة الوعى العربى بذاته، والتى جعلها فى مقدمة المشكلات الفلسفية المعاصرة؛ وذلك لإصراره على أن تؤدى الفلسفة دورها فى إيقاظ الوعى العربى، بشرط أن تعالج قضية الوعى العربى فى إطار المشكلات الفلسفية المعاصرة، وكشف العلاقة بين الوعى العربى والوعى الغربى والتى بدأت على يد هيجل وكانط وغيرهم.

وفى سبيل تحقيق اليقظة ومواجهة العقبات التى تواجه واقعنا وفكرنا العربى المعاصر كانت مواقف الدكتور يحيى هويدى النظرية والعملية، والتى تناولناها فى ثمانية مواقف هى : الموقف الأول فى نشأته الفكرية واهتماماته العلمية، وما تناولته الكتب والمؤلفات والبحوث والترجمات والمقالات التى كتبها والقضايا التى أثارها والحلول والإنتقادات التى قدمها ضد أصحاب النظريات والإتجاهات المادية والتجريبية والوجودية، والمذاهب الوضعية، وأصحاب التحليل اللفظى، الذين أغفلوا الواقع المادى الطبيعى وحولوا الواقع إلى مجرد ألفاظ ورموز ولغة.

وفى الموقف الثانى : تناولت موقف الدكتور هويدى من الفلسفة الواقعية، وكيف قدم مفهوما للوعى قوامه العلم والمثل والقيم الإيمانية والخلقية، لأن الواقعية عند هويدى علمية وعقلانية ودينية فى نفس الوقت،وبالتالى فإن هذا الوعى هو الذى يساعد عمليا فى تشكيل الحياة وتحقيق إرادة التغيير، إنه الوعى الذى يدفع الفكر الأصيل للتفاعل مع الواقع ويصنع الحياة، ومن أجل ذلك وضع هويدى أهم الخطوات التى يمكن عن طريقها يتحقق الوعى العربى المعاصر، ثم قدم نقاط التشابه والخلاف والتأثير والتأثر للعلاقة بين الوعى العربى والوعى الغربى المعاصر.

وفى الموقف الثالث: تناولت بالتحليل للقواعد المنهجية للواقعية الإسلامية، والتى جعل هويدى فى مقدمتها القاعدة الإيمانية، ثم قاعدة التوازن، والعقلانية، والتحليل، والنقد، والشمول، والتحرر الفكرى، وحرية الفعل،ثم الموقف الخلقى.

وفى الموقف الرابع : تناولت موقف الدكتور هويدى بواقعيته الإيمانية من فلسفة الوضعية المنطقية، والتى اتخذها الدكتور زكى نجيب محمود منهجا للتغيير والتأثير فى الثقافة العربية المعاصرة، وما هى الإنتقادات التى وجهها هويدى لهذه الفلسفة.

وفى الموقف الخامس : تناولت موقف الدكتور هويدى من الميتافيزيقا، وكيف تميزت الواقعية الإسلامية عن مختلف الفلسفات التى هاجمت الميتافيزيقا التقليدية، وما هى المميزات والعيوب التى وقعت فيها الميتافيزيقا الأرسطية، ثم موقف الدكتور هويدى من ميتافيزيقا باركلى، وميتافيزيقا ديكارت، وميتافيزيقا صمويل الكسندر، وميتافيزيقا كانط، ثم موقفه من ميتافيزيقا الفلسفة الوجودية، وكيف أثبت هويدى أن الفلسفة هى البحث الميتافيزيقى الأصيل، وأن الميتافيزيقا ليست علما بالمعنى المعروف، وكذلك الفلسفة لا يمكن أن تكون علما كباقى العلوم المحصورة والمحدودة بالموضوع والمنهج والغاية، فهى تضم العديد من القضايا والمباحث والمشكلات، وبالتالى فهى رؤية ومنهج وأسلوب للدراسة والفهم وليست علما، لأن مجالها العلل الأولى البعيدة أو مايسميه أرسطو بالوجود العام، أو البحث فى الوجود بما هو موجود.

وفى الموقف السادس : تناولت الواقعية فى علم مقالات الفرق الإسلامية،وموقف الدكتور هويدى من فكرة التجديد والإصلاح، والمعاصرة والتراث، وموقفه من المتكلمين، ثم موقفه من الفلسفة القرآنية.

وفى الموقف السابع : تناولت السمات المميزة للواقعية الإسلامية التى قدمها هويدى، والتى أعانته فى مواقف المواجهة مع الفكر الغربى، وأثبت من خلالها مدى تميز الواقعية الإسلامية عن غيرها من الفلسفات الواقعية، وهى التكافؤ، والمواءمة،والتفاؤل، والتفاعلية، والحيادية، والعلمية، والدينية المتسامحة لا المتشددة.

• وفى الموقف الثامن : تناولت مواقف الدكتور هويدى من رجال الفكر العربى المعاصر، وتحليل مناهجهم الإصلاحية والحكم عليها، ومدى نجاحها فى تحقيق أهدافها،ابتداء من الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته إلى السلفية والتوحيد الخالص المنزه عن جميع أنواع الشرك وأشكاله، وكذلك موقف هويدى من فكرة التجديد والتوحيد عند ابن عبد الوهاب، ثم تناولت موقف الدكتور هويدى من منهج الإصلاح الشامل عند رفاعة الطهطاوى، وأثر هذا المنهج على التحديث الثقافى والاجتماعى فى مصر. ثم تناولت موقف الدكتور هويدى من آراء جمال الدين الأفغانى الإصلاحية فى المجال الثقافى والسياسى، والخطوات التى رسمها الأفغانى لتحقيق الوعى العربى المعاصر، وموقف الأفغانى من الفكر الغربى ونظرية التطور، ثم موقفه من الجامعة الإسلامية. ثم تناولت موقف الدكتور هويدى من منهج الإصلاح الدينى والسياسى عند عبد الرحمن الكواكبى، والخطوات التى رسمها الكواكبى للإصلاح التربوى ومواجهة العقبات والأسباب التى أدت إلى تدهور العالم العربى وتخلفه عن ركب الحضارة والمدنية. ثم تناولت منهج الإمام محمد عبده فى الإصلاح الدينى والإجتماعى، وموقفه من قضية التأويل والتفسير، والحرية والفعل، وكيف كان موقف الدكتور هويدى المؤيد لموقف محمد عبده من التجديد والإصلاح. وأخيرا تناولت موقف الدكتور هويدى من الإتجاه العلمى والتجريبى الذى تبناه زكى نجيب محمود وحاول تطبيقه من خلال منهج الوضعية المنطقية، وكيف انتقد هويدى هذا الإتجاه، وأهم القضايا الفكرية التى تناولها زكى نجيب فى فلسفته العلمية مثل قضية الأصالة والمعاصرة، وقضية العقل والعقلانية، وقضية الثقافة العربية. وقضية التراث والتجديد وغيرها.

من أجل ذلك كله لجأت إلى أفكار أستاذنا ومواقفه أستعيدها وأتأملها لعلنا نصل إلى الطريق: طريق الحقيقة والحكمة والوعى بالذات.

والله الموفق والمعين

دكتور
عبد الحميد درويش النساج
رئيس قسم الفلسفة/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة قناة السويس